بحث عام | قسم الدراسات الدينية | 02 أكتوبر 2018

إشكاليَّة المنشقّين عن الإخوان وتعاطي الجماعة معهم

منير أديب
باحث مصري

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2018
All rights reserved © 2018

الملخّص:

تسلّط هذه الدراسة الضوء على ظاهرة صارت أكثر وضوحًا داخل تنظيم الإخوان بامتداداته التي تصل لأكثر من 80 دولة؛ وهي ظاهرة الخروج على الجماعة والانشقاق عن أفكارها، رغم وجود محاضن للتربية داخل التنظيم تُعلي من فكرة السمع والطاعة، وتُعطيها أولوية بين أفراد التنظيم على التفقه في الدين أو تعلمه أو ممارسة طقوسه؛ فتاريخ الانشقاق وأسبابه الحقيقية لا تكاد تكون معلومة لكل الذين يخرجون عن تنظيمات أيديولوجية تسعى في النهاية لممارسة فكرة الاغتيال المعنوي لهذه الشخصيات وتشويهها، حتى لا يكون ذلك مغريًا لأفراد التنظيم بالانشقاق أو ممارسة ضغوط على القيادات التي حولت التنظيم إلى تنظيم شبة عسكري بأوامر السمع والطاعة المفروضة على قواعده في المنشط والمكره. وجماعة الإخوان تتصدّر هذه التنظيمات.

وتهتمّ الدراسة بهذه الظاهرة في محاولة لقراءتها وقراءة أسبابها الحقيقية ووضع التنظيم في ظلّ موجات الخروج الجماعي التي تشهدها الجماعة بخاصة في العقد الأخير، وبحث أسباب هذا الانشقاق بعد تصنيف حالاته، والبحث في جدلية الخروج من التنظيم وآليات التحقيق من الجماعة في هذه الظاهرة التي باتت تؤرق التنظيم، ومبرراتها التي تقدمها لقواعدها.

تقارن الدراسة بين طريقة تعامل المؤسّس الأول للجماعة حسن البنا والمرشدين من بعده مع الخارجين على الجماعة أو المنشقّين عنها، وتأثير هذا الانشقاق على شكل التنظيم، وتطرح تساؤلًا عما إذا كانت هناك علاقة بين عسكرة التنظيم وبين موجات الخارجين على الجماعة؟، كما تضع الدراسة كلمات مفتاحية تفسر ظاهرة الانشقاق وتُجلي الحقائق بشأنها، سواء كان ذلك مرتبطًا بخروج قيادات رفيعة المستوى في أعلى السلطة بالجماعة أو أجيال متعاقبة داخل التنظيم، وإلقاء الضوء على مشاريع هؤلاء المنشقين المستقبلية.

وفضلا عن ذلك، تتعرّض الدراسة للأسباب التي دفعت هؤلاء المنشقّين إلى الخروج على الجماعة، وطريقة تعامل التنظيم معهم، وأسباب تجاهله للمئات من الذين يخرجون عنه، ويعلنون تجميد عضويتهم دون أن نسمع لهم صوتًا في الإعلام ودون أن يتلقوا ردًّا من الجماعة على ما كان سببًا في خروجهم منه، رغم أن البعض قضى داخل التنظيم أكثر من 20 عامًا، إلا أنه فضل أن يخرج نادمًا على ما قضاه من وقت بين قوانين ولوائح الجماعة.

ولعلّ من أهداف من هذه الدراسة معرفة الأسباب الحقيقية وراء الخروج من جماعة الإخوان والانشقاق عنها، والأسباب الحقيقية وراء تعامل التنظيم الأحادي مع هؤلاء المنشقّين، رغم التباين في التعامل مع كل حالة، وسعيه لتشويه هذه المجموعات التي آثرت ألا تستمر داخل التنظيم.

ومن مداخل الدراسة تعريف الانشقاق وإظهار الصورة الحقيقية لهؤلاء المنشقّين، ومتى يأخذون قراراتهم؟ ومن هنا سنتوغل قليلًا في تجارب بعض المنشقّين، ونعرض بالتفصيل لتجربة من هذه التجارب من خلال عرض نصي لاستقالة أحد قيادات الإخوان، محاولين التعرّف على مشروعها الفكري وكيف تعاملت الجماعة معها؟ كما نحاول التعرف معها من خلال إجراء حوار خاص بالدراسة مع هذا المنشق من داخل أحد السجون المصرية، حيث مازال الرجل يقضي عقوبة السجن - بحسب حكم أولى درجة- على مدى نجاح هؤلاء المنشقّين في تقديم بديل لتنظيم كبير مثل الإخوان؟، فعمر التنظيم يفوق عمر أفراده وأتباعه وبخاصة من انشقوا عنه، وهل هو حقيقة يبشر بأفكار جديدة هي بدائل تبرّر الخروج والانشقاق عن التنظيم؟

أمّا المنهج المتّبع في الدراسة، فهو المنهج الوصفي، إذ يهتمّ بوصف طرق الانشقاق داخل تنظيم الإخوان، والذي برز بقوة في العقد الأخير، رغم وجود الظاهرة منذ نشأة التنظيم، كما يقارن بين الطريقة القديمة التي كان ينشقّ من خلالها أتباع التنظيم وقياداته والطريقة التي ميزت هذه الانشقاقات الجديدة مع البحث التأصيلي المقارن لتعامل القيادة مع هؤلاء المنشقّين، سواء قديمًا أو حديثًا.

أمّا مصادر البحث، فهي نصوص بعض الاستقالات التي تقدّم بها هؤلاء المنشقّين من مصادرها، كما حوت الدراسة مقابلة خاصّة مع أحد هؤلاء المنشقّين الذي مازال يقضي عقوبة السجن مدّة 10 سنوات- حكم أوّل درجة- بتهمة التجمهر أمام أحد مراكز الشرطة المصريّة، مع عرض مفصّل لمشروعه الفكري وطريقة تعاطي الجماعة معه وبقية المنشقّين، كما تكشف المقابلة التي تضمّنتها الدراسة، رؤية المنشق من واقع سجنه الضيق للتنظيم في ظلّ تنامي الظاهرة موضوع البحث.

مقدّمة:

تعدّ الأبحاث والدراسات التي كُتبت عن ظاهرة المنشقّين داخل جماعة الإخوان قليلة ونادرة بخلاف بعض الكتابات الصحفية التي تناولت هوامش الظاهرة دون الغوص في تفاصيلها أو معرفة الأسباب الجوهرية لها. وذلك لعدة أسباب قد يكون منها، انغلاق التنظيم على نفسه، فهو لا يُعطي فرصة للآخرين أن يعرفوا أكثر عنه، ويعتبر أن ما يدور بداخله شأن خاص لا يخص غيره، كما أن الجماعة تفرض يمين السمع والطاعة على أتباع التنظيم بعدم الخروج على أي قرارات تنظيمية حاكمة، وهو ما يحد من فكرة الخروج على الجماعة أو الانشقاق عنها. وحتى إن حدث ذلك، فلا نعرف معلومات مفصلة عن هؤلاء الخارجين إلا إذا تحدثوا، وغالبًا ما يكون ما يصل إلينا مشوشًا بسبب برامج الإخوان الساعية لعدم إظهار الحقائق بشأن هؤلاء الخارجين أو المنشقّين، فتظل الحقيقة تائهة بين تجربة لم تجد صدى حقيقي بسبب آلة الإخوان الإعلامية لتشويه صاحب هذه التجربة وبين قيادات آلت على نفسها قتل أية حركة انشقاق أو تمرد على التنظيم في مهده مهما كان مصدره ومهما كانت صفة صاحبه التنظيمية من قبل، فلا تجد هذه الكلمات آذانٌ تسمعها أو عقولٌ تفقهها، وهنا يؤثر المئات ممن يخرجون من التنظيم السلامة على تحمل مواقف نفسية تؤرقهم.

تضع الجماعة مبدأ السمع والطاعة في منزلة عالية لإحكام السيطرة بشكل أكبر على التنظيم ومواجهة هؤلاء الخارجين عنها إذا ما قرروا الانشقاق عن الجماعة بعد انضمامهم إليها، فالجماعة لا تجد حرجًا في انضمام عناصر جدد لها ولكن لديها مشكلة كبيرة في خروج هذه العناصر، إذا ما أعلنت الانضمام لها وخرجت عنها فيما بعد، فهذا الخروج يؤثر على بنيان التنظيم ويحدث ما تسمية الجماعة وفق أدبياتها «شق للصف الإخواني»، وهنا قد تقبل الجماعة من أفرادها داخل هذا الصف أيّ تجاوزات حتى وإن كانت أخلاقية، غير أنّه يزعجها تمامًا فكرة الاختلاف أو الاعتراض أو ممارسة النقد داخل الكيان التنظيمي، فأثر هذا على البناء التنظيمي أكبر بكثير من أثر التجاوزات الأخلاقية، ولذلك فليس لدى الجماعة مانع من اتخاذ إجراءات صارمة ضد من يخالفها أو يمارس هذا الحق داخل الهيكل التنظيمي عن طريق إعفائه من مهامه، أو تجميد عضويّته أو فصله من التنظيم مقابل ألا تعطيه حق النقد أو تسمح له بممارسته، وقد يكون ذلك سببًا رئيساً وراء خروج مجموعات كبيرة من الإخوان.

تعتبر الجماعة السمع والطاعة شرطًا من شروط العضوية في قسم العضو الجديد المؤهل للانضمام إليها، كما أنها تضعه كركن أساسي في قسم الجماعة: «أعاهد الله العلي العظيم على التمسك بدعوة الإخوان والجهاد في سبيلها، والقيام بشرائط عضويتها، والثقة التامة بقيادتها، والسمع والطاعة في المنشط والمكره، وأقسم بالله العظيم على ذلك وأبايع عليه، والله على ما أقول وكيل»[1]، كما تسعى الجماعة عبر أذرعها

1 رجب البنّا، الإخوان: جماعة السمع والطاعة، يمكن مراجعته بجريدة الأهرام بتاريخ 2010/4/11 وعبر موقعها على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت من خلال الرابط، www.ahram.org.eg/archive/Issues-Views/News/48432.aspx

الإعلاميّة للتشكيك في كلّ شخص يخرج عنها حتى ولو كان قيادة بارزة فيها سابقًا، وهنا يلعب التنظيم على فكرة الاغتيال المعنوي للأفراد أو القيادات التي قرّرت الخروج عن الجماعة، وهو ما قلّل من استفحال الظاهرة وحجم نتائجها السلبية.

في رسالة التعاليم تحدّث حسن البنا عن الثقة، وفي أحد أركان البيعة العشرة، ركّز على أهمية الطاعة والخضوع للقائد وإضفاء جو من القداسة حوله، حيث يقول: «أريد بالثقة اطمئنان الجندي إلى القائد في كفاءته وإخلاصه اطمئنانًا عميقًا ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة»، ثم يشبّه نفسه بالنبي بالاستشهاد بما يذكره القرآن الكريم عن علاقة المسلمين بالرسول في قوله تعالى: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليما»[2]، ثم يربط بين القائد والدعوة ربطًا عضويًا؛ فالقائد جزء من الدعوة ولا دعوة بغير قائد وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة وإحكام خططها، ونجاحها في الوصول إلى غايتها، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب[3].

وقد كانت عسكرة التنظيم منذ نشأته على يد المؤسس الأوّل[4] حسن البنا سببًا رئيسا في الحد من الظاهرة التي باتت أكثر شيوعًا بعد عقود طويلة من عمر التنظيم، كما أن طريقة تعامل مرشد الإخوان الأول إزاء حركات الانشقاق الأولى[5] التي خرجت عليه تختلف بطبيعة الحال عن تعامل قيادات الجماعة مع من فضل أن يكون خارج التنظيم أو قرر أن يعارضه، وهو ما حد من الظاهرة قديمًا وجعلها في ازدياد وسط تصور بات مشجعًا على الظاهرة ذاتها.

وممّا يلفت الانتباه، أنّ هؤلاء المنشقّين لهم قيادات بارزة في التنظيم مثل، نائب المرشد الأول للإخوان الدكتور محمد حبيب الذي خرج من الجماعة عبر خلاف عميق مع التنظيم دفع بعدة تساؤلات حول شكل الخروج وطبيعته؟ وقد طرح انشقاق المتحدث باسم إخوان أوروبا الدكتور كمال الهلباوي، وعضو مجلس الشورى العام الدكتور السيد عبد الستار المليجي ومختار ونوح وثروت الخرباوي، وآخرين قديمًا وحديثًا أسئلة كثيرة عبر الوقت الطويل الذي مر على خروج بعض هذه القيادات وغيرها عبر المراحل التاريخية المختلفة، وهو ما تسعى الدراسة إلى كشفه.

---

2 سورة النساء، الآية 65

3 السيد يوسف، الإخوان المسلمون وجذور التطرف الديني والإرهاب في مصر، الهيئة العامة للكتاب ط1، 1999، ص 219، 220

4 أنشأ حسن البنا تنظيم الإخوان في العام 1928، وكان يلقب بمرشد الجماعة، فحمل لقب المرشد والمؤسس الذي أرسى لوائح الجماعة التي مازالت تعمل بها وإن أجرت عليها بعض التعديل.

5 حركة شباب محمّد التي خرجت على مرشدها الأول حسن البنا، أسستها مجموعة من قادة وشباب الإخوان الذين انشقوا عن جماعة الإخوان عام 1939م، على رأسهم محمود أبو زيد عثمان، صاحب امتياز مجلة النذير، التي أصبحت لسان حال المنشقّين فيما بعد، ترأسها محمد عطية خميس، وقد اختفت الجماعة بوفاته في أوائل الثمانينيات من القرن الماضي.

تاريخ الانشقاقات داخل الإخوان:

بدأ الانشقاق داخل تنظيم الإخوان في عهد المؤسس الأول حسن البنا، وظل مستمرّاً وزادت حدّته مع الوقت، رغم أنّ القيود التنظيمية الحاكمة كانت تزداد إلاّ أنّها لم تمنعه أو تحدّ منه، بل حدث العكس تمامًا، غير أنّه يمكن أن نقول في هذا السياق، إنّ طريقة التعامل مع المنتقدين أو الخارجين عن التنظيم اختلفت من قيادة لأخرى، ولعل تعامل المؤسس الأول حسن البنا مع منتقديه والخارجين عليه حَمى التنظيم من حُمى الخروج التي كادت أن تعصف ببنائه، فلم يُعرف أن وجه لهم انتقاد رغم انتقاداتهم، وقدم لهم دعمًا ماليًا وتبرعًا والأدهى من ذلك أنه كان من أوائل الذين سجلوا أسماءهم في كشوف جماعة شباب محمد التي خرجت عليه[6]، بخلاف وقائع أخرى دفعت مرشد الجماعة الأخير محمد بديع إلى طرد منتقديه والخارجين عليه، عندما تقدموا بمذكرة اعترضوا فيها على انتخابات مجلس شورى الجماعة[7].

ووفقاً لرواية الإخوان، في الموسوعة الرسمية لتاريخ الإخوان، فإنّ أسباب فصل أحمد السكري -الشخص الأكثر إثارة للجدل في تاريخ الجماعة، والذي وصل إلى منصب وكيل إمام الإخوان وعضو الهيئة التأسيسية للجماعة، حسن البنا، قبل أن تُصدر الجماعة قرارًا بخروجه منها عام 1947، ليؤسس جمعية «الإخوان المجاهدون الأحرار» - بدأت بشنّه هجوما على البنّا في مقالات بجريدتي صوت الأمّة والكتلة، ذكر فيها أنّ «البنا» له اتصالات ببعض الشخصيّات الأجنبية، وهي اتهامات لم يستطع السكري وفقاً لرواية الإخوان، أن يقدم سندًا لصحتها، كما اتهم السكري، البنّا، بالاستبداد في اتخاذ القرار؛ فقررت الهيئة التأسيسية للإخوان توجيه اللوم إليه وإعفاءه من عضوية الجماعة[8].

ومن أهمّ وأبرز المنشقّين على الجماعة حديثًا عدد من القيادات التاريخية للجماعة، مثل الدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح[9]، عضو مكتب الإرشاد السابق، لترشحه في الانتخابات الرئاسية بمصر عام 2012، وأبو العلا ماضي، أحد أهمّ وأبرز قيادات جيل الوسط في الجماعة، الذي تميّز بحضوره في العمل النقابي

---

6 تعرّضت جماعة الإخوان لانقسام داخلي بعد عام 2013 بين جبهتين: يتزعّم احداهما محمد كمال، عضو مكتب إرشاد الجماعة والذي قتل في تبادل لإطلاق النار في يناير 2016 مع أجهزة الأمن حسب رواية الداخلية. أمّا الأخرى فهي جبهة محمود عزت القائم بأعمال مرشد الإخوان والمقيم خارج مصر بعد مظاهرات 30 يونيو 2013، وصلت حدّة الخلاف بين الجبهتين إلى أنّ كلا منهما أصبح له متحدّث إعلامي وموقع رسمي يُعبّر عنها وانقسم الأتباع بطبيعة الحال بينهما، وقد قرّرت جبهة محمد كمال مواجهة الدولة من خلال عمليات مسلحة وتشكيلات عسكرية، بينما فضّلت جبهة محمود عزت وسائل أخرى بخلاف العمل العسكري لمواجهة النظام السياسي.

7 ظهرت جماعة شباب مصر في العام 1939، وتولى محمد عطية خميس، قيادة التنظيم وكانت لها مجلة باسم «النذير» آلت ملكيتها للجماعة عندما انضم محمود أبو زيد عثمان صاحب امتياز المجلة للجماعة الجديدة، وزاد على ذلك تخلّي حسن البنا عن ملكية المطبعة للجماعة الجديدة من باب علاقة الود التي أراد أن يتركها مع الخارجين عليه.

8 طرد مرشد الإخوان محمد بديع، كلا من حامد الدفراوي، عضو المكتب الإداري للإخوان بالإسكندرية وأحد الذين شاركوا في التأسيس الثاني للجماعة وخالد داود، القيادي البارز في المحافظة الساحلية، من مكتب الإرشاد عندما تقدما بشكوى خاصة بالانتخابات الداخلية التي أجرتها الجماعة وتم تصعيد محمد بديع مرشدًا للجماعة على خلفيتها.

9 أبرز الانشقاقات في تاريخ جماعة الإخوان المسلمين، موقع إضاءات، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدولية عبر الرابط، goo.gl/d4RQJV.

بمصر، بعد إقدامه على خطوة تأسيس حزب الوسط[10]، والدكتور محمد حبيب[11]، النائب الأوّل لمرشد الإخوان السابق، وإبراهيم الزعفراني[12]، عضو مجلس الشورى العام بجماعة الإخوان، لتشكيكه في انتخابات المرشد العام، كما تمّ فصل كلّ الشباب الذين أعلنوا دعم الدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح في الانتخابات الرئاسية التي خاضها عام 2012 ونافس فيها جماعة الإخوان، وخالف عشرة من شباب الإخوان قرار الجماعة بعدم الانضمام لأي حزب سوى الحرية والعدالة، وقاموا بتأسيس حزب التيار المصري، ومن بينهم: إسلام لطفي، وعبد الرحمن خليل، وآخرون.

وقد توالت عدة استقالات فيما بعد من قيادات وشباب الإخوان، كان منها استقالة الدكتور كمال الهلباوي، التي أعلنها على الهواء مباشرة ضمن أحد البرامج الشهيرة[13]، بعد أن دفعت الجماعة بمرشح لها هو خيرت الشاطر في الانتخابات الرئاسية عام 2012، رغم تصريحها بأنها لن تخوض الانتخابات، وأعرب «الهلباوي» في برنامجه عن حزنه لما سماه بالأداء المتخبّط لقيادات الإخوان وسعيهم للسلطة بشكل لا يختلف مع أداء الحزب الوطني السابق، وفصلها للدكتور عبد المنعم أبو الفتوح عندما أعلن ترشحه للرئاسة، مؤكدًا وجود صفقات مستمرة وعدم شفافية.

أسباب الانشقاق عن الإخوان:

تعدّدت أسباب الانشقاق عن جماعة الإخوان في السنوات العشر الأخيرة. وكان أهمها الموقف السياسي للجماعة، والذي وصفه بعض المراقبين بأنّه موقف سلبي من خروج المصريين في ثورة 25 يناير 2011،

10 أحد قيادات الجماعة المحسوبة على جبهة الإصلاحيين داخل التنظيم، خرج من التنظيم في مارس 2011 بعد قرار من مجلس الشورى العام وعزمه الترشح في الانتخابات الرئاسية، وكان صاحب موقف في الانتخابات الداخلية التي أجريت في عام 2009 على خلفية اعتراض بعض أعضاء مكتب الإرشاد على دخول د. عصام العريان مكتب الإرشاد بعد وفاة محمد هلال العضو السابق، وقد رجح دخول العريان دون انتخابات في وسائل الإعلام ما أثار حفيظة التنظيم، وأدى في النهاية لإجراء انتخابات داخلية أفرزت فقدانه لعضويته بمكتب الإرشاد تلاها قراره المشاركة في الانتخابات الرئاسية، والتي نتج عنها قرار مجلس الشورى العام برئاسة المرشد محمد بديع فصله من التنظيم لمخالفته لوائح التنظيم، وكان قرار الجماعة وقتها عدم الترشح لمنصب رئيس الجمهورية، عندما قرّر عصام العريان الترشح للمنصب المذكور.

11 يرأس حزب الوسط المهندس أبو العلا ماضي بعد أن تمّ الموافقة على ترخيصه عقب الطعن أمام لجنة شؤون الأحزاب المعنية بإعطاء الترخيصات للأحزاب السياسية في مصر قبل ثورة عام 2011 في أعقاب عدد من مرات الرفض، وهو ما نتج عنه الموافقة في 19 فبراير 2011 بالسماح بإنشاء الحزب وإلغاء قرار لجنة شؤون الأحزاب بالاعتراض على تأسيسه، ترجع فكرة تأسيسه إلى مجموعة من قيادات الحركة الطلابية في السبعينات من القرن الماضي، وقيادات النقابات المهنية المنتمين للتيار الإسلامي ومعظمهم كانوا أعضاء في جماعة الإخوان، ثم انفصلوا عنها عام 1996، وتقدّموا بطلب للجنة شؤون الأحزاب لإنشاء حزب سياسي يحمل اسم حزب الوسط ثلاثة مرّات في أعوام 1996، 1998، و2004 وتمّ رفض الطلبات الثلاثة.

12 محمد السيد حبيب، كان نائبا أوّل لمرشد الإخوان السابق محمد مهدي عاكف، قضى 40 عامًا داخل صفوف جماعة الإخوان منها 25 عامًا عضوا بمكتب إرشادها الذي التحق به عام 1985، وخرج منه مطلع 2010 بعد انتخابات داخلية لم يحالفه الحظ فيها وقد أثارت عاصفة من الجدل نهاية 2009، يعمل أستاذًا جامعيًا بكلية العلوم قسم الجيولوجيا جامعة أسيوط.

13 أحد قيادات جماعة الإخوان، عضو مجلس شورى الجماعة، قدّم استقالته من الجماعة في إبريل 2011 وشرع في تأسيس حزب النهضة، وهو يعدّ أحد رموز العمل الإسلامي في السبعينيات عندما كان أميرًا للجماعة الإسلامية بكلية الطب جامعة الإسكندرية، تقدم باستقالته بعد ما يقرب من 45 عاما من الانضمام للتنظيم، وعلل هذه الاستقالة بعدم وجود تغيير حقيقي داخل الجماعة فضلاً عن اعتراضه على آليات اختيار وكيل مؤسسي حزب الجماعة والتي كشفت عن عدم وجود فصل بينه وبين الجانب الدعوي والتربوي والاجتماعي، بحسب ما جاء في نص استقالته.

فضلًا عن الانتخابات الداخلية للجماعة في عام 2009، والتي أثارت جدلًا وخلافًا عميقًا[14]، ومواقف أخرى لها علاقة بطبيعة التنظيم وممارساته الداخلية وتحكمه في كل كبيرة وصغيرة، وتضاؤل هامش الديمقراطية وتقديم الثقات على أصحاب الكفاءة داخل المراكز التنظيمية. وإن كان الموقف السياسي وبخاصة بعد مظاهرات يناير 2011 سببًا في خروج مجموعات كبيرة من الجماعة.

لا شك في أنّ الانتخابات الداخلية التي أجراها الإخوان في عام 2009 كانت لها نتيجة سلبية على التنظيم، فقد أدت هذه النتيجة إلى غضب بين أعضاء مجلس شورى الجماعة وأعضاء سابقين منهم خالد داوود وحامد الدفراوي، وهو ما دعاهم إلى تقديم مذكّرة احتجاجية ضدّ نتيجة الانتخابات إلى المرشد العام يطالبون بإلغائها وطعنا ببطلانها، فقد تمّت -حسب قولهم- بدون ضمانات للشفافية أو النزاهة[15].

هناك أسباب كثيرة يمكن فهمها في سياق الحديث عن أسباب الانشقاقات داخل جماعة الإخوان، وتأتي في مقدّمة هذه الأسباب الخلافات التنظيمية والتي تعدّ الأهم والأبرز وتكاد تكون سببًا مشتركًا يجمع ما بين كل الذين خرجوا من التنظيم، فقواعد التنظيم الحاكمة وإدارة شؤونه دفعت المئات للتمرد على هذه القواعد، خاصة إذا أدركنا طبائع الإدارة التنظيمية المتغيّرة عبر العقود المختلفة منذ النشأة وحتى اللحظة الآنية، مع اتساع عمل التنظيم وتضخمه سواء التنظيم الأمّ في القاهرة أو أفرعه في الأقطار الأخرى، وبات فهم الدعوة مختلفًا عليه بين القيادة والأفراد وبين المجموعات الدعوية داخل التنظيم وبين التنظيميين أنفسهم، وترتّبت على فهم هذه الدعوة لوائح تنظيمية دفعت لمزيد من التمرّد بدعوى مخالفة الشرع. فكان ذلك مسار هام للانشقاق والخروج عن الجماعة.

كما أنّ تطبيق بعض اللوائح الخاصة بتجميد عضوية بعض الأفراد التابعين للتنظيم كوجه للعقوبة دفع هذه المجموعات للخروج عن التنظيم وليس هذا فحسب، وإنما خروج معلن عنه عن طريق تقديم استقالة، وبالتالي دفعت أسباب هذه الاستقالة مئات آخرين للخروج عن التنظيم حتى باتت فكرة الخروج عن الجماعة ظاهرة تستوجب الكتابة والتعليق والتحليل والبحث في أسبابها، وقد كان الصراع الدائر بين جبهتي الإصلاح «مدرسة التغيير» والصقور «مدرسة التنظيم» من الأسباب الدافعة لمزيد من الانشقاق داخل جسد الجماعة الممتد وبخاصة بين القيادات رفيعة المستوى داخل الأطر التنظيمية مثل مكتب الإرشاد ومجلس شورى الجماعة والمكاتب الإدارية، وهو ما أدى لخروج قيادات كثيرة وذات مقام تنظيمي ملموس يطرح عدة

14 يمكن مراجعة استقالة د. كمال الهلباوي ضمن برنامج العاشرة مساء الذي كان يقدم على فضائية دريم على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت على الرابط، www.youtube.com/watch?v=VLABX05g0x4.

15 أعلنت جماعة الإخوان في 21-12-2009 عن انتخاب مكتب جديد إرشاد للجماعة وسط انقسامات بين تياري المحافظين والإصلاحيين داخل الجماعة وانقسامات حادة أدت لخروج مجموعة من الإخوان على رأسهم د. محمد حبيب، النائب الأوّل للمرشد بعد سقوطه في الانتخابات الداخلية ود. عبدالمنعم أبو الفتوح، من عضوية مكتب الإرشاد.

تساؤلات بخصوص انشقاق هذه التنظيمات وتأثير ذلك على خروج أعضاء من الجماعة أسوة بهذه القيادات المتناثرة العقد.

ومن بين الأسباب الكثيرة التي يمكن فهمها في سياق الانشقاق عن جماعة الإخوان، تلاشي اللوائح التنظيمية أمام إكراهات الممارسة الفعلية، فيؤدي ذلك في النهاية إلى خروج أعداد ليست بالقليلة من التنظيم فرادى أو جماعات، وقد يكون هذا الخروج مغريًا لآخرين. هذا على الرغم من أنّ التنظيم مارس قبضته الحديدية على أفراده من خلال لوائح صارمة، وربما نجح في اختطاف عقولهم عبر ممارسات ومدارسات للوائح وقوانين كفيلة بالحفاظ على الهيكل التنظيمي دون حدوث شروخ أو انشقاقات في طول وعرض التنظيم.

وتجاه هذا، فهناك من يصرّ على استكمال مشروعة الفكري المختلف بطبيعة الحال عن الجماعة، وهناك من يقع تحت أسر التنظيم الساعي لتشويهه فيؤثر السلامة من خلال عدم نقد مشروع الجماعة أو الاقتراب من أفكارها التي اختلف معها، وهناك من يرفض الانخراط في أية تجربة أخرى حتى ولو كان ذلك من خلال انتقاد تجربته السابقة.

لا يمكن الجزم بأسباب حقيقية أو واقعية وراء الخروج من الجماعة أو الانشقاق عنها، ولكن نستطيع القول بأن هذا الخروج دائم ومستمر وبأعداد أكبر من التي يُعلن عنها التنظيم، فالجماعة تتحرج من الحديث في هذا الموضوع، بل تعتمد سياسة التجاهل في محاولة منها للتقليل من الظاهرة، على المستوى الإعلامي في مخاطبتها لغير الإخوان، كما أنها تعتمد نفس السياسة في التعامل مع أعضاء الإخوان داخل التنظيم، وهو ما يُعطي في النهاية انطباعًا غير دقيق بأن هذا الانشقاق ليس ظاهرة بخلاف الواقع.

قد تكون علاقة التنظيم بالسلطة ضمن الأسباب التي دفعت بعض المجموعات للخروج عن التنظيم ولكنّها لم تكن السبب الرئيس قبل ثورة 25 يناير عام 2011، فقد نجح التنظيم في إقناع أتباعه بجدوى الصمود أمام الضربات الأمنية وفق أدبيات التنظيم «الصبر على المحنة»، حتّى عشقت قواعده هذا النوع من الابتلاء واعتبرته جهادا في سبيل الله ومكوثا على الثغر أجْرُه لا يقلّ عن أجر المجاهد الذي خرج للقاء العدوّ وترك ماله وأهله وزاده، غير أنّ هذه الصورة تغيرت كثيرًا بعد ثورة 25 يناير 2011، واعترى الجماعة تغير كان بالنسبة إلى البعض ممن انتمَوْا للتنظيم مفاجئًا وبخاصة علاقته بالحكومة المؤقّتة التي تلت ثورة يناير 2011 مباشرة وبخاصة المجلس العسكري الذي أدار شؤون البلاد فترة من الوقت حتى وصل نظام سياسي لسدّة الحكم بالانتخابات الحرة المباشرة، وقبل وصول هذا النظام وصل الإخوان لسدة الحكم فكان ذلك سببًا لخروج مجموعات كبيرة منهم اعتراضًا على أداء الجماعة السياسي وممارساتها التي وصفت بالرعونة، كما أنّ جزءا من هؤلاء الذين خرجوا من التنظيم يرون أن مهمتهم قد انتهت برفع الحظر عن الجماعة ووصولها لسدّة الحكم.

ولعلّ القدسيّة هي السبب الرئيس وراء بعض الانشقاقات التي خرجت عن الجماعة؛ فهذه القدسية قد يكون مقصودٌ بها القيادة العليا للجماعة، وقد يكون مقصودٌ بها المسؤول المباشر الذي يُعاقب في حال توجيه لوم أو نقد، وهذه القدسية تفرض التزامين أحدهما بعدم النقد، وثانيهما بالتعامل مع كلّ من يحاول الانتقاد، وكلاهما يؤدّيان لطريق واحد هو الخروج على الجماعة.

وأحاط أعضاء مكتب الإرشاد ومجلس شورى الجماعة أنفسهم وأحاطهم المقربون بهالة من القدسية تحرّم حتى مناقشتهم أو مراجعتهم في موقف من المواقف، وإن تجرّأ أحد على ذلك تهب كتيبة العمال[16] من شباب الإخوان لمهاجمته قدحًا وذمًا مناصرين للرمز الإخواني متذرعين بالحفاظ على ميثاق الجماعة ووحدة الصف، مرددين عبارات جوفاء اكتسبوها من خلال تربيتهم الإخوانية القائمة على إلغاء العقل الناقد المفكر وإعمال العصبية لرمز وكيان أسمى وهمي اسمه جماعة الإخوان، وهو ممّا أوهمهم أنّهم وحدهم يحتكرون الدين وأنّ المساس بالكبار هو مساس بالدين نفسه[17].

وجاءت مشكلة عصام العريان[18] خير مثال على إشهار مبدأ القدسية كسلاح للتخلّص من البعض، والقدسيّة هنا كانت لـ«اللائحة»، فقراءة عابرة لما حدث من رفض تصعيد الدكتور عصام العريان تجاه عضوية مكتب الإرشاد يفصح ويجلاء عن هيمنة الحرس القديم على الوضع الداخلي التنظيمي في الجماعة، وعن عملهم الجاد للحد من تيار الفكر المنفتح على المجتمع والعمل العام الذي يتصدره العريان، وهكذا لم يعد خافيًا على أحد أنّ هناك هوّة شاسعة، بل تيارات فكرية مختلفة داخل الجماعة نفسها بعد أن استمات سدنة التنظيم في نفي الأمر، فالأعضاء من التيار المتشدد يسيطرون على مكتب الإرشاد، وهؤلاء أصبحوا مثل موظفي الأرشيف الذين يقضون الوقت في تفسير الوثائق واللوائح والمذكرات، معتبرين أنفسهم ورثة المجد القديم للجماعة وحرّاسها من الزوال، ولذلك لا يجوز مناقشتهم ولا منازعتهم المناصب التي باتت محل نزاع ومداولة لا تدخل فيها كفاءة العضو ومدى إسهامه في الإعلاء من شأن الجماعة، بقدر ما يدخل فيها اعتبارات الطاعة العمياء والسير على الفكر المتكلس المحصور في حقبة عصر الخلافة الإسلامية المنقرضة[19].

---

16 موقع العربية نت، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» عبر الرابط، www.alarabiya.net/htm.94858/21/12/articles/2009

17 ربّما تقصد المؤلفة بالعمال أحد معنيين، إمّا معنى العمال بلفظه فيمن يقوم بمهاجمة من شرع في نقد قيادة الإخوان وتسميهم عمال على سبيل أنهم بلا إرادة فهناك من يحركهم، أو تقصد العاملين وهي درجة تنظيمية يصل إليها فرد الإخوان، وهم من توافرت فيهم الثقة بقياداتهم عبر وسائل التربية المختلفة، وهم ينطلقون لمهاجمة من يقترب من قيادات الجماعة بالنقد.

18 انتصار عبدالمنعم، مذكرات أخت سابقة.. حكايتي مع الإخوان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2011، ص 196، 197.

19 تتلخّص مشكلة عصام العريان في إجراء انتخابات على مستوى مكتب الإرشاد، أعلى سلطة تنفيذية داخل الجماعة وجاء دوره السادس، بينما تمّ تصعيد خمسة كانوا يسبقونه وهم سعد الكتاتني وأسامة نصر ومحيي حامد ومحمد عبدالرحمن وسعد الحسيني، وبوفاة محمد هلال عضو مكتب سابق يؤول الأمر لعصام العريان على اعتبار ترتيبه دون انتخابات، وهو ما رفضه مكتب الإرشاد بالإجماع مطالبين بتفعيل اللائحة، وهو ما أدى لصدام بين المكتب والمرشد انتهى لانتخابات داخلية كانت على مستوى المكتب ودخل العريان المكتب ولكن بانتخابات داخليه حافظ فيها على التزامه عدم الحديث عن جوهر الخلاف المتعلق به، فما كان إلا أن مجلس شورى الجماعة حل هذا الخلاف بتصعيده ولكن خرج في نفس هذه الانتخابات د. محمد حبيب عضو مكتب الإرشاد والنائب الأول للمرشد والدكتور عبدالمنعم أبو الفتوح، عضو المكتب.

موقف التنظيم من الانشقاق عليه:

كان عدم ردّ الجماعة على الانتقادات التي وجهت إليها أو الاستقالات المعلنة التي رفعت إليها سببًا في مزيد من الانشقاق وتعرية جسد الجماعة. وقد اتّبع التنظيم سياسة التجاهل بخاصة في الخلافات التي يراها كبيرة ويخرج على خلفياتها أفراد أو قيادات، ترى أنهم تعرضوا بالانتقاد لما تراه خطوطًا حمراء مثل انتقاد الأفكار الأساسية التي يقوم عليها التنظيم ومناهجه أو طريقة اختيار الأفراد وتشربهم لمفاهيم بعينها، أو انتقاد القيادة العليا للتنظيم والاعتراض على أدائها أو المطالبة بتغيرها.

لا توجد جهة داخل التنظيم منوط بها استلام استقالات الأفراد، كما أنّه من غير المعترف به عندها بفكرة الاستقالة؛ فالجماعة ترى نفسها أكبر من أن يزهدها أتباعها أو يعلنون ذلك، فهي من تقوم بتجميد عضويتهم أو رفض انضمامهم للتنظيم، وفي حال الخروج عليها تكون مضطرة للتجاهل أو تشويه هذه الشخصية التي أعلنت تمردها على الملأ.

كما لا توجد جهة للتحقيق أو التحقق من الاستقالات أو العكوف على دراسة ما يمكن أن تحتويه الاستقالات المسببة، ولذلك فإنّ أغلبها يتمّ تقديمه عبر مواقع التواصل الاجتماعي وتتناولها وسائل الإعلامي أو تتواصل مع أصحابها لمزيد من المعلومات، أو محاولة مناقشة أصحابها للتعرف بشكل دقيق على دواعي هذه الاستقالة وكواليس خروج صاحبها أو تأخّره في تقديمها، خاصة وأنّ كثيرين ممّن خرجوا من التنظيم يؤثرون عدم الحديث أو التعرّض لشؤون التنظيم الداخلية وقتما كانوا مسئولين، فقط يكتفون بإعلان اعتراضهم والكشف عن أسباب ضيقة لهذا الاعتراض دون تفصيل لذلك، ولا يوجد مكان أمام هؤلاء الخارجين إلاّ الفضاء الإلكتروني على صفحاتهم الشخصية على موقعي «الفيس بوك، وتوتير»، وهما يمثّلان فيما بعد همزة تواصل مع وسائل الإعلام.

العجيب أنّ جماعة الإخوان لا تعترف بكثير من الأفراد الذين انشقوا عنها بخاصة الذين خرجوا بإرادتهم ولأسباب أعلنوا عنها مثل د. كمال الهلباوي، المتحدث باسم إخوان أوروبا، والذي وصف د. محمود غزلان، عضو مكتب الإرشاد والمتحدث الإعلامي إعلان خروجه من التنظيم بأنّه فرقعة إعلامية، وأنّه لم يكن له صفه تنظيمية مؤكدًا أنّ المتحدّث الرسمي السابق للإخوان في أوروبا لا ينتمي إلى تنظيم الإخوان[20]، وهو ما اضطرّ الهلباوي للردّ في أكثر من منبر إعلامي قائلًا: يجب على الإخوان الكبار في مكتب الإرشاد ومجلس شورى الجماعة، أن يقرؤوا التاريخ جيّدًا ويعرفوا إخوانهم بدقّة، والشاعر يقول: «قد تنكر العين

20 المصدر نفسه، ص 197.

فوق الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم»، وأؤكد لك أنني استقلت من التنظيم مساء 31 مارس 2012، بعد قرار الجماعة الأخير ترشيح خيرت الشاطر لمنصب رئيس الجمهورية في البلاد»[21].

وقد خرجت بعد عام 2013 مجموعات كبيرة من الإخوان تحت مسميات كثيرة مثل «إخوان بلا عنف»، و«إخوان منشقّون»، و«جبهة أحرار الإخوان»، وغيرهم من الأشخاص والمجموعات، غير أنّ الجماعة شكّكت في علاقة هذه المجموعات أو البارزين فيها بالجماعة في أية فترة زمنية وواجهته بتجاهلها الحديث عنهم، خاصة وأن جميعهم من الوجوه الشابة غير المعروفة إعلاميًا بالانتماء للجماعة، لذلك تطاردهم اتهامات بأنهم «مجهولي الهوية»[22].

نجحت جماعة الإخوان لفترة ليست بالقصيرة على امتداد تاريخها ولعقود في حفظ لحمة التنظيم من انشقاقات كبيرة وواسعة بقواعد تربوية أرستها لدى أفرادها مثل السمع والطاعة في المكره والمنشط وتوظيف بعض الأحاديث النبوية بضرورة السمع والطاعة كما جاء في صحيح البخاري: «عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، : اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبدٌ حبشيٌ كأنّ رأسه زبيبة»[23]، ويتم استخدام هذا الحديث استخدامًا تنظيميًا فيتشرب أعضاء الجماعة ضمن محاضنهم التربوية ضرورة التحلّي بالسمع والطاعة دون غيرها، ولا تقتصر الجماعة على هذا بل تذهب لأبعد من ذلك بأن تقوم بالحد من ترقية هؤلاء المتمردين أو المنشقين داخل الأطر التنظيمية، وتمنع وصولهم إلى مراكز القيادة العليا.

ومن اللافت للانتباه أنّ حسن البنا لم يتعامل مع هذا الانشقاق الأكبر في تاريخ التنظيم وقتها بنفس الطريقة التي تتعامل بها الجماعة مع خصومها في العصر الحاضر، حيث ذهب حسن البنا إلى جماعة شباب محمد الوليدة من رحم جماعة الإخوان أو التي انشقت عنها، فكان أول المهنئين لهم، وكانت جماعة شباب محمد تقوم بجمع تبرعات من أجل استئجار مقرات لها والإنفاق على أنشطتها، فكان البنا أول المتبرعين لها، وكان ذلك من ماله الخاص وليس من مال التنظيم[24].

---

21 المنشقّون عن «طاعة الإخوان» من عصر «البنا» إلى حكم «بديع» (ملف خاص)، جريدة المصري اليوم، يمكن مراجعته على الموقع الإلكتروني على شبكة المعلومات الدولية عبر الإنترنت على الرابط، www.almasryalyoum.com/news/details/170571.

22 كمال الهلباوى: تركت «الإخوان» يوم ترشيح «الشاطر» (حوار)، حوار أجرته جريدة المصري اليوم مع القيادي الإخواني المنشق د. كمال الهلباوي، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت على الرابط، www.almasryalyoum.com/news/details/169612.

23 «المنشقون الجدد» عن «الإخوان» يبحثون عن «شهادات ميلاد»، جريدة الشروق، يمكن مراجعة الموضوع على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» على موقعها عبر الرابط، 7c3c--www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=01102013&id=7245f254 4e44-ba7a-c1023e40bb34

24 صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، المكتبة الإسلامية، يمكن مراجعته عبر شبكة المعلومات الدولية الإنترنت على الرابط، library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=13068&idto=13075&bk_ no=52&ID=3932

استقالة معلنة لأحد القيادات في الحقل التربوي:

جاء في نص استقالة محمد سعيد عبد البر[25]، أحد قيادات الإخوان، والتي أعلنها عام 2012 اعتراضا على ما قال إنّه طرأ على الجماعة في الجانب الفكري والتربوي والثقافي والإداري والتنظيمي فضلًا عن الأداء العام[26]، ما يلي:

(الثامن من مارس 2012)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى الواسع الفضل، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من أقام العدل، وعلى آله وصحبه أولي العطاء والبذل، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الفصل.. وبعد

فهذه استقالتي من جماعة الإخوان المسلمين (وكنت انضممت إليها عام 1986) أعلنها لمن يهمه الأمر أداء للأمانة وقياما بواجب البيان وحق النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم.

السبب الإجمالي لهذه الخطوة هو أني أرى- بعد بحث عميق استغرق وقتا طويلا- أن القيادة الحالية تأخذ الجماعة في طريق بعيد عن نهج المؤسس الشيخ حسن البنا رحمه الله تعالى، وحيث إني لست مستعدًا لسلوك هذا الطريق الآخر لكونه-عندي- غير صحيح فكرًا ولا شرعًا، فإن هذه الاستقالة لازمة لأكون متسقًا مع فهمي وخلقي وضميري.

وتفصيل ذلك فيما يلي:

أولا: الجانب الفكري والثقافي

ثانيا: الجانب التربوي

ثالثا: الجانب الإداري

رابعا: الجانب التنظيمي

خامسا: جانب الأداء العام الحالي

25 كيف تتعامل «الجماعة» مع الخارجين عليها؟، موقع البوابة نيوز، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدولية عبر الإنترنت على الرابط، www.albawabhnews.com/52799.

26 أحد قيادات الإخوان، تولى شؤون التربية ضمن لجنة معنية برفع الأداء العقائدي والتنظيمي للإفراد التابعين للتنظيم تسمى لجنة «التربية» بحيّ الدقي بمحافظة القاهرة، انضم لتنظيم الإخوان في العام 1986 بينما تقدم باستقالته في عام 2012

ففي الجانب الفكري والثقافي (أي النظرة الكلية إلى الفقه والاعتقاد والسلوك) نجد أنّ المؤسس كان حريصًا كل الحرص على أن يربط أفراده بالتراث الإسلاميّ بأركانه الثلاثة: الفقه والعقيدة والتصوّف، ففي الفقه كان هو نفسه فقيهًا حنفيًا، وكان يحث الفرد على دراسة رسالة –على الأقل- في فروع الفقه على مذهب من المذاهب الأربعة، وفي الاعتقاد كان سنيًا أشعريًا، وكتب رسالة العقائد على هذا النهج كما حث الأفراد على دراسة رسالة في أصول العقيدة، وفي التصوف كان الرجل شاذليًا حصافيًا، وحث الأفراد على قراءة الأوراد التي سماها المأثورات، والتي هي في مجملها مقتبسة من أوراد الشيخ زروق -الشاذلي- رضي الله تعالى عنه، كما كان يقرأ لهم في الكتائب من إحياء علوم الدين ومن حكم ابن عطاء الله. وأما المسار الفكري الذي سارت فيه القيادة الحالية، فهو البعد التام عن هذه المكونات الأساسية فحلت محلها مناهج يشوبها الخلل العلمي وغياب الدقة وضعف التأثير، فحاد بالأفراد عن الخط الأصيل كثيرًا، وأصدق برهان على ذلك هو أن الأفراد في مجملهم لا يعلمون شيئًا عن الأمور التي ذكرت، والتي كانت إطارًا قويًا يحكم فكر المؤسس رحمه الله تعالى، وكان من نتيجة ذلك تسرب مفاهيم الفكر القطبي والوهابي لأفراد الجماعة، بل وقياداتها في أحوال كثيرة، الأمر الذي يعد انحرافًا واضحًا عن فكر مؤسسها وبهذا تكون الجماعة من الناحية الفكرية جماعة أخرى غير التي أنشأها حسن البنّا.

وقد علّق يوسف القرضاوي على قضية المناهج[27] تعليقًا طويلا في مذكراته وهي متاحة منشورة لمن يريد.

وفي الجانب التربوي

كان المؤسس واسع الصدر عظيم التحمّل لأفراد الجماعة -بل للناس جميعا- فكان يحتفي بهم ويستمع إليهم، وينصت لنقدهم إنصات من يريد الاستفادة من أصغرهم فضلا عن أكبرهم، كان يدقق في كلّ نقد يوجه له ويهتم بالجواب عليه اهتمامًا عظيمًا، وإن أسرف قائله في اللوم والعتاب، حتى لقد سأله أحد الأفراد على صفحات المجلات عن مصادر دخله وعن المفارقة بين أناقته في ملبسه وهيئته وبين قلة دخله، فما كان من الشيخ إلاّ أن أجابه تفصيلًا عن مصادر دخله وديونه بمنتهى الهدوء، بل وشكر له حرصه على أموال الجماعة ونظافة ذمة قائدها، ونشر السؤال والجواب بنفسه في المجلة التي كان يرأس تحريرها.

وفي المقابل، نجد القيادة الآن تضيق بالنقد وتتبرّم بالرأي المخالف وتقسو على الأفراد وتشهر في وجوههم سيف السمع والطاعة والثقة، ثم سيف العقوبة الإدارية من تحقيق لتجميد عضوية حتى الفصل النهائي والإبعاد التام من صفوف الجماعة، ولعلّ الكثير جدًا من الأحداث الجارية والماضية يؤيد كلامي هذا.

27 موقع البديل، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت" على الرابط، elbadil.com/2012/03/897

وضعت القيادة الحالية المنهج ولجنة التربية محل الشيخ المربي والأستاذ الموجه، كلّ هذا في سبيل العلو بمفاهيم التنظيم فوق مبادئ التربية والتوجيه الروحي والعملي والإنساني، فكانت النتيجة أمران أساسيّان: أولهما: ترسيخ معنى الالتزام التنظيمي التام لدى الفرد على حساب زاده الثقافي والروحي والأخلاقي، فصار نظره لكونه قدوة أمام الناس مقدمًا على نظره لحق خالقه ورغبته الداخلية في طاعته والامتثال لأمره، صار يفعل الصواب لئلا يراه الناس يفعل الخطأ لا خوفًا من حساب الله تعالى وخضوعًا لأمره سبحانه؛ والثاني: غياب روح الأخوة لتحل محلها مفاهيم السمع والطاعة المجردة عن رقة الأخوة ودفء المحبة وحلاوة المودة.

نرى من يتصدرون لتربية الأفراد أفرادا مثلهم لا يزيدون عليهم في كفاءة تربوية حقيقية ولا يفوقونهم في زاد شرعي ولا فكري ولا ثقافي، ولا حتى يكبرونهم سنًّا في أحيان كثيرة، ولا أهلية لهم في توجيههم إلا المنصب الإداري الذي بوأتهم إياه الجماعة، وكأنهم يكتسبون أهليتهم من لقب إداري لا أكثر ولا أقل، في حين إن أمر التربية والتوجيه في التراث التربوي الإسلامي كبير الشأن عظيم الأهمية لم يتصد له إلا الأكابر من العلماء المربين المرشدين على مر التراث كلّه.

لمّا حلّ المسؤولون غير المؤهلين محلّ المسؤول الأصلي عن هذه المهمة، وهم علماء الدين في الأزهر الشريف انفصل أبناء الجماعة عن العلماء وحيل بينهم وبينهم، فكان الضرر البالغ على المتصدر والمتلقي جميعًا، فالأول صار أستاذًا موجهًا قبل الأوان ففاته التعلم والتزكي لانشغاله عن التعلم بتعليم غيره، والمتلقي فاته الزاد الحقيقي من محله الأصلي ونال بدلا عنه زادًا وهميًا من غير مؤهلين.

رأيت بنفسي -ورأى الكثيرون غيري- آثار هذا الأمر في تشوهات حصلت لكثيرين في فكرهم وأخلاقهم ومساراتهم في حياتهم الشخصية والاجتماعية والمهنية، ولقد سمعت بأذني شبهات خطيرة ومخيفة من عدد كبير من أفراد الجماعة حول العقيدة والشريعة، وكان الكثيرون منهم من أولاد قيادات الإخوان، مما ينبئ عن خلل كبير لم نر كل آثاره بعد، والله تعالى المستعان. وقد كتبت تقريرًا مفصلا عن هذه الأمور منذ سنوات ورفعته ولم يناقشني فيه أحد. (ملحق رقم 2)

وفي الجانب الإداري

كان المؤسّس حريصا كل الحرص على إدارة الجماعة بأسلوب مدير المؤسسة لا بعقلية قائد التنظيم، فكان يمارس الشورى الحقيقيّة وبكل شفافية ووضوح ويستمع بمنتهى الدقة والإنصات لكل اقتراح بل وكل نقد من خارج الجماعة قبل داخلها. وأما القيادة الحالية فتتجاهل كل ما ذكر، بل وتسكت سكوتًا غريبًا على وقائع محددة ذكرها أصحابها مؤيدة بالأدلة، فتسكت ولا تبالي بالجواب مطلقًا، مما يعد تجاهلًا للأفراد وللرأي العام وتقليلا من شأنهم وغمطًا لحقهم في مجرد معرفة الحقائق، وذلك بزعم الحفاظ على وحدة

الصف وعدم إثارة البلبلة وهي الحجة التي صارت قديمة مستهلكة من كثرة ما استعملت وقيلت وتكررت، ربما كان للقيادة العذر في ذلك لو جاءت هذه الاعتراضات من أعداء الجماعة أو من مباحث أمن الدولة كما كان يحصل في الماضي، ولكن ما عسى يكون عذرها وهي آتية من فلذات أكباد الجماعة الذين قضوا الليالي الطوال في السجون لتمسكهم بمبادئها ورفضهم البوح بأسرارها أو التعاون مع أعدائها؟!

فعلى سبيل المثال:

1- تقدم الدكتور إبراهيم الزعفراني بمذكرة من 30 بندًا معترضًا على الانتخابات الداخلية لمجلس الشورى ومكتب الإرشاد الحاليين، ولم يلتفت إليه بل وأشيع -على خلاف الواقع- أنه تراجع واعتذر عنها، وقد تأكدت بنفسي منه شخصيا أنه لا يزال متمسكًا بكل ما فيها، وحتى الآن لم ترد القيادة على هذه المذكرة وأهملتها تمامًا، بل ولما تمسك الدكتور بطلب الجواب كان الرد من قبل القيادة ساخرًا متهكمًا بأن يقدم بلاغا للرقابة الإدارية !!

2- تقدم المهندس حامد الدفراوي بمذكرة مماثلة وفي ذات الموضوع وحصل معه نفس ما حصل في النقطة رقم 1 تماما.

3- نشر بالفعل أنّ هناك انحرافات مالية في نادي أعضاء هيئة التدريس جامعة القاهرة منسوبة لرئيس النادي (فرد من الإخوان) وأحيل الموضوع للدكتور فتحي لاشين للتحقيق الداخلي فيه وكتب الدكتور تقريرًا ذكر فيه ما يراه من الحق في المسألة، وتم إخفاء هذا التقرير، بل ومعاقبة من أعلن عن هذه الوقائع، وهو فرد من الإخوان في قطاع وسط الجيزة وأستاذ في الاقتصاد، ورغم نشر الموضوع إعلاميًا ومعرفة الرأي العام به إلا أن القيادة لم تحرك ساكنًا في الكشف عن وجه الحق فيه داخليًا ولا إعلاميًا.

4- نشر بالفعل أنّ هناك إشكالا ماليًا يتعلق بملكية مدرسة بالإسكندرية ونسب لأحد أعضاء مكتب الإرشاد التورط فيه وأنه يرفض الإقرار للجماعة بملكية المدرسة مساومًا على معاش لا يستحقه له ولأفراد أسرته، ولم تحرك الجماعة ساكنًا في الرد على هذا.

5- نشر بالفعل أثناء الثورة عن اجتماع بتاريخ محدد بين أشخاص محددين من الإخوان، وبين رئيس مخابرات النظام السابق وعقد اتفاق ما بين الطرفين ضد الثورة، وقد قام الأستاذ هيثم أبو خليل[28] بذكر

28 تقوم جماعة الإخوان بتدريس عدّة مناهج تربوية لأفرادها بشكل أسبوعي منتظم ضمن ما تسمية تنظيميًا لقاء الأسرة الأسبوعي بتوجيه من «النقيب» الذي يتولى إدارة عدد من الأفراد يتراوح أعدادهم ما بين الخمسة والسبعة أفراد، من كتب المناهج التربوية، كتب الرشاد وأغلب روّادها من الأطفال، وكتب المبادئ وأغلب روّادها من طلاب الإعدادية، وكتب الرحاب وأغلب روادها من طلاب الثانوية والجامعة، وكتب النور وأغلب روادها من الخرجين والعاملين.

تفاصيل الزمان والمكان والأشخاص وتحدى القيادة أن تكذبه رسميا فلم تفعل، ولم يحصل أي توضيح من جانب القيادة.

6- ما نشر وقتها من كلام صريح لقيادات الجماعة من أنه لم يكن هناك أي نوع من الاتصال بالأمن في انتخابات سنة 2005، ثم صرح الأستاذ مهدي عاكف بوجود اتفاق مع الأمن في هذه الانتخابات، وثار الأفراد عقب هذا الكلام وقدمت التساؤلات مكتوبة وشفهية، ولم يهتم المسؤولون ولو بمجرد النفي أو التوضيح.

7- ما نشر من ملابسات ضم الأستاذ صبري عرفه (أحد قيادات الدقهلية) لمكتب الإرشاد، فإنه لم يوفق في الانتخابات الداخلية الصعيدية وفي الصباح تم اختياره لشورى محافظته، ومن ثم للشورى العام، وحينما تساءل الإخوان الذين حضروا الانتخابات عما حدث قيل لهم: من الثقة في إخوانكم ألا تسألوا ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه، ولم تقدم القيادة أي توضيح للأفراد.

8- حصلت معي شخصيا واقعة أحلت فيها للتحقيق وبرغم إقرار الأستاذ المحقق ببراءة ساحتي مما نسب إلي فيها، إلا أن المسؤولين رفضوا إعلان النتيجة لأسباب غير مبررة ولمدة طويلة جدّا تقترب من السنة، ثم إذا بهم يعودون فيقولون إن الموضوع لا يزال مفتوحًا، وهو خلاف الواقع تمامًا، بل ويربطونه بكوني أكتب آرائي على صفحتي الإلكترونية، ويطلبون مني التبرؤ مما كتبت مقابل إعلان براءة ساحتي في الأمر المذكور الذي لا علاقة له مطلقًا بمسألة الكتابة على «الفيس بوك»، وهذا الربط بين أمرين لا علاقة بينهما بجعل أحدهما مقابلا للآخر لا أجد له اسمًا -للأسف- غير المساومة، ومبدأ المساومة غير مقبول عندي أصلا والمفترض ألا يكون مقبولا عند أصحاب المبادئ عمومًا.

وكلما سأل فرد من الجماعة عن إحدى هذه الوقائع المنشورة والمعروفة، فإن الرد واحد وهو الإحالة على ثقة الفرد في الجماعة، وأننا لن نرد على هذا، في مخالفة واضحة لنهج المؤسس من الاهتمام البالغ بالرد الواضح ومحاسبة المتورط أيا كان شخصه ووضعه.

وفي الجانب التنظيمي

كان نهج المؤسس هو عدم إلزام الفرد بقيود التنظيم وضوابطه إلا في مرحلة عضوية معينة، ولم يكن يشهر سلاح الطاعة والثقة أبدا في وجه من يخالفه في الرأي، بل لم يكن يستعمله إلا في مواجهة الخروج الفعلي الذي يسبب خطورة على منهج الجماعة، بل وصرح في رسالة التعاليم -التي تشتمل على مبادئ التنظيم ومنها السمع والطاعة والثقة- أنها موجهة لفئة معينة من أفراد الجماعة.

وأمّا القيادة الحالية، فهي تعمم هذه المفاهيم على جميع الأفراد وتطالب الكبير والصغير والجديد والقديم بكل ضوابط التنظيم، بل وتستعمل المبادئ الثلاثة العتيدة –الطاعة والثقة والكتمان- في كبت كل رأي وقمع كل اعتراض.

لدى القيادة طوال الوقت شعار مرفوع يؤدّي في النهاية لسكوت المعترض بشكل أو بآخر، ففي السابق: الأوضاع الأمنية تفرض علينا تجاوز المؤسسية وتجاهل النقد الداخلي، وبعدها: الحرب الإعلامية ضدنا تبيح لنا تجاوز المؤسسية حفاظًا على صورة الجماعة أمام الناس، والآن: انشغالنا في المسؤوليات العظيمة الملقاة علينا تبيح لنا ... إلخ. فمتى يكون الاستماع للأفراد إذن؟ ومتى يحين الوقت المناسب، ليعبر الفرد عما لديه من أفكار، ويفصح عما في صدره من مشاعر؟

في الحقيقة، فإن القيادة الحالية لا ترى سبيلا لحماية الأخوة والتكاثف إلا في مفاهيم التنظيم وقمع النقد الداخلي بشكل أو بآخر.

الحاصل في هذه النقطة أنّ القيادة الحالية جعلت مهمة الفرد الحقيقية هي حشد الناس للانضمام للجماعة، وكل أمر من جانب الفرد يؤثر على هذه المهمة المحددة يواجه بمنتهى العنف من جانب القيادة.

وفي جانب الأداء العام الحالي

تتخذ قيادة الإخوان أغرب المواقف وتضع الجماعة في أعجب الخانات، اتسمت مواقف الإخوان بسببهم -على اختلافها وتعددها- بأمور، أولها الانفصال التام عن النسيج الوطني، وثانيها المسارعة غير المبررة وغير المفهومة لدعم العسكر وترسيخ سلطتهم على حساب الممارسة الديمقراطية الحقيقية، وثالثها الاستغناء الكامل عن القوى السياسية الأخرى، ورابعها الحرص الشديد على إيقاف الحالة الثورية والسعي لتهدئة الأوضاع ولو على حساب ما يمكن انتزاعه لصالح الشعب، وخامسها العيش في وهم التمكين والتصرف على أساس حصوله بالفعل علما بأنه تمكين وهمي لا أساس له في ظل ما سبق.

الخلاصة في هذه الاستقالة المسببة

أنّي أقرّر أنّ القيادة الحالية قد بعدت بالجماعة عن نهج مؤسسها تماما بما يتجاوز نطاق مراجعة بعض التفصيلات إلى الخروج على إطاره العام، مما يجعلها تقود الجماعة في طريق آخر مختلف عن طريق المؤسس ومباين له تمام المباينة، وهو طريق - من وجهة نظري- غير صحيح فكرا ولا شرعا، ولذلك فإني أتوقف تماما عن ممارسة أي عمل تحت قيادتها، والمستقبل لا يعلمه إلا الله تعالى، لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا، وحينها فلكل حدث حديث ولكل فرض أذان.

خاتمة

وإنّي إذ أتقدم بهذه الاستقالة أقرّر أمورا:

1- أني عرفت بين أفراد هذه الجماعة وقواعدها أطهر أناس عرفتهم في حياتي، وهم ينزلون من قلبي منزلة الأخ أو الولد أو الوالد وسيظلون كذلك إن شاء الله تعالى في الجانب الشخصي.

2- عرفاني التام بفضل الأيام التي قضيتها في هذه الجماعة علي في العمل للدين وتوفر الصحبة الصالحة والاهتمام بالقضايا الكبرى للأمة.

3- أرحب جدا بالتعاون على البر والتقوى في كل عمل يكون نافعا للدين وللوطن.

4- أربأ بنفسي وبإخواني وأصدقائي عن أن يؤثر انقطاع العلاقة التنظيمية بالقيادة الحالية في أخوتنا ومحبتنا التي اجتمعنا عليها زمانًا طويلًا دون أية شائبة دنيوية.

5- أسأل الله تعالى أن أحافظ على سرية ما اؤتمنت عليه من أمور شخصية أو شؤون داخلية اطلعت عليها بحكم كوني فردًا في الجماعة.

6- أرجو إخواني الذين يخالفونني فيما ذهبت إليه في قراري هذا ألا يتورطوا في ما لا يليق بي ولا بهم مما لا يرضاه الله تعالى من إساءة شخصية أو مخالفة للخلق الحسن والأسلوب القويم في خلافنا كما التزمنا بذلك في مودتنا ووفاقنا.

7- أرجو إخواني الذين قد يطلعون على أسباب هذه الاستقالة ألا يتأثروا بما ذهبت إليه، وليفعلوا ما يرونه صوابًا، لأن الله تعالى قد تعبد كل إنسان بالبحث عن الصواب وبفعل ما يغلب على ظنه أنه الصواب ولا يجزئه أن يتكل على بحث غيره أو فعله.

8- أرجو هؤلاء وأولئك أن نظل على ما يرضاه الله تعالى لنا من الحب في الله والأخوة الخالصة ومراعاة حق الإسلام.

9- أنصح أعضاء مكتب الإرشاد أن يراجعوا أنفسهم في مطابقة الطريق الذي يقودون الجماعة إليه للطريق الذي رسمه المؤسس رحمه الله تعالى، فإما أن يعودوا لنهج المؤسس، وإما أن يعلنوا أنهم يؤسسون جماعة أخرى، ثم لا عليهم بعدها أن يسلكوا ما يشاؤون من سبل، أداء للأمانة وإيثارًا للوضوح والصراحة، وأشهد الله تعالى أني أنبههم إلى أنه لا يسعهم غير هذا شرعًا ولا خلقًا.

10- أوصي كل فرد في الجماعة أن يضع نصب عينيه قول الله تعالى: (وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا) فلن ينفعه انتماء ولا ولاء ولا غير ذلك إذا فعل ما لا يرضاه لدينه ولا يراه مُخَلِّصاً له من الحساب بين يدي الحكم العدل.

هذا ما أراه ولعله صواب، واللهَ تعالى أسأل، وبسيد خلقه له أتوسل، وبعباده الصالحين من العلماء والأولياء إليه أسلك واستشفع: أن يرزقني الله تعالى الهداية والتوفيق، والعون والتأييد، والقبول والرضا، في عفو منه سبحانه وعافية، ويسر وتيسير، فهو نعم المولى ونعم النصير، وهو سبحانه حسبي، فيا نعم الوكيل.

وصلى الله تعالى وسلَّم وشرَّف وكرَّم

على سيد خلقه سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه

أجمعين

آمين

تجربة أحد المنشقين على الجماعة:

وعن تجارب بعض المنشقين، نورد هذا الحوار الخاص[29] الذي أجريناه مع أحد القيادات الوسيطة بتنظيم الإخوان التي انتمت للجماعة مدة 15 عامًا، ثم أعلنت انشقاقها أثناء قضائها فترة الحكم أول درجة بالمعاقبة مدة 10 سنوات داخل سجن الفيوم[30].

نصّ الحوار:

- كيف ترى ظاهرة المنشقين عن الجماعة، وهل ترى أن أعدادهم في ازدياد، وكيف يتعامل معهم التنظيم؟

29 تقدّم باستقالة مسببة ذكر فيها 12 سببا لهذه الاستقالة، وصدر ذلك بما قال عنه إنّ لقاءًا سريًا جمع بين عمر سليمان، رئيس جهاز المخابرات الأسبق وعدد من أعضاء مكتب الإرشاد، تفاوضوا من أجل إنهاء مشاركة الإخوان في فعاليات ثورة 25 يناير 2011 مقابل منحهم حزب وجمعية وإخلاء ميدان التحرير الذي امتلأ وقتها بالمتظاهرين.

30 تمّ إنجاز الحوار الصحفي من خلال المحادثة على الصفحة الشخصية على موقع التواصل الاجتماعي للقيادي الإخواني عمرو عبد الحافظ من داخل سجنه، عضو مؤسّس بحزب الحرية والعدالة، والذي يقضي فترة عقوبة عن حكم أول درجة صدر بحقّه لمدة 10 سنوات، حيث يقضي العقوبة داخل سجن الفيوم في القضية رقم 1747 جنايات الفيوم، بتهمه الانضمام لجماعة محظورة والتجمهر عند أحد أقسام شرطة الفيوم يوم فُضّ ميدانيْ رابعة العدوية والنهضة في 14 أغسطس 2013

هي ظاهرة موجودة في الإخوان منذ أسسها حسن البنا وحتى الآن، وهي أمر طبيعي في جسد تنظيمي متضخم تتعدد فيه وجهات النظر ويضيق أفقه عن استيعاب ذلك التباين... ومن الصعب إحصاء أعدادهم بدقة لأن هناك منشقين لا يعلنون عن أنفسهم ويغادرون التنظيم في هدوء.. التنظيم دائمًا يتهم المنشقين عنه بأنهم أضعف إيمانًا وأقل قدرة على تحمل صعوبات هذا الطريق ويصفونهم بأنهم متساقطون على طريق الدعوة، ويتهمون البارزين منهم بأنهم متطلعون إلى الشهرة والمناصب، وقد يتهمونهم كذلك بالعمالة لجهات أمنية، ويحذرون أفراد التنظيم من التعامل معهم، باختصار يتعامل التنظيم مع المنشقين عنه بطريقة أقرب إلى الخصومة والعداء.

- هل ترى اختلافًا في تعامل قيادة الإخوان قديمًا وحديثًا مع الخارجين عليها، وإلى ماذا ترجع إستراتيجية التنظيم في التعامل مع المختلفين معه؟

حسن البنا كانت له تجربة مع بعض الشباب المنشقين عن الجماعة تعامل معهم فيها بطريقة راقية؛ فقد زار مقر جمعيتهم «شباب محمد» في يوم افتتاحها وهنأهم ووقع استمارة عضوية بها، بعد البنا بدأ التعامل الخشن مع المنشقين باعتبارهم خصومًا.. سبب هذا التعامل الخشن هو ذلك الخلط بين الدين والتنظيم إلى الحد الذي تذوب فيه الفوارق بين المقدس والبشري، وبين الثابت والمتغير، فيتعامل التنظيم مع المغادرين وكأنهم يغادرون الدين ذاته، إضافة إلى ضيق أفق يمنع هذه القيادات من التعاون مع المغادرين في حدود المشترك بين الطرفين.

- قد تقبل الجماعة اختلاف غير أعضائها، بينما تفرض قيودًا على أصحاب الآراء داخل التنظيم، هل ترى ذلك بسبب خشية قيادات التنظيم من انتشار النقد؟

تنظيم الإخوان قائم على أدبيات تعظم من شأن القيادة على حساب الأفراد وتلزم أعضاءها بالسمع والطاعة وإن خالف الأمر قناعاتهم، ويرون ذلك من سمات الأخ المثالي الجدير بالانتماء للتنظيم، إضافة إلى الخشية من انتشار عدوى النقد التي تؤدي إلى المساءلة وكشف الأخطاء، ومن ثم فلن تكون القيادة جديرة بمواقعها في نظر أفرادها، وينتشر دائما شعار «لا تشق الصف» خوفًا من تفرق أفراد التنظيم من حول قيادته إذا ما تم فتح باب النقاش الجاد والبحث في الأخطاء.

- هل تمارس الجماعة اغتيالًا معنويًا للشخصيات التي تخرج عليها، ولماذا تلجأ إلى هذه الحيلة مع المختلفين معها؟

جماعة الإخوان محترفة في اغتيال المغادرين معنويًا عن طريق اتهامهم بالنقائص، وكلما كان المغادر شخصية بارزة زادت وتيرة ذلك بعمل تنظيمي ممنهج، خشية أن يؤثر ذلك المغادر بحجته في أعضاء التنظيم الذين قد يغادرون كذلك اقتناعًا بوجهة نظره.

- تتعدد أسباب الخروج عن الجماعة، كما تختلف ردود فعل التنظيم، كيف يمكن قراءة هذه الأسباب وفي أي سياق يمكن وضعها؟

هناك من يغادر التنظيم بسبب خلافات شخصية مع قياداته، وهناك من يغادر بسبب ضيق أفق التنظيم وعدم قدرته على استيعاب أصحاب المواهب، وهناك من يغادر بسبب خنق التنظيم المغلق لأصحاب الرأي فيه ورغبته في أن يكون الجميع مجرد تابعين يسمعون ويطيعون، وهناك من يخرج اعتراضًا على أداء الجماعة السياسي، وهناك من يغادر بسبب خلاف فكري ينشأ عن إعادة النظر في المنطلقات الفكرية التأسيسية للجماعة، وهذا كله متوقع ومنطقي؛ فالتنظيم لا يستطيع استيعاب أصحاب الرأي ويضيق بهم ويضيقون به بعد حين، كذلك فإن التنظيم لا يراجع أفكاره التي تأسس بها منذ عشرات السنين، فبديهي أن يغادر التنظيم كل من راجع تلك الأفكار، ولم يعد مقتنعا بها.

- هل يمكن أن نسمي القيادات التي تخرج عن التنظيم بأنها محسوبة على تيار الإصلاح، أم يمكن فهم هؤلاء الخارجين في سياق الخلافات التنظيمية؟

لا يمكن وضع كل المغادرين في خانة واحدة؛ فهناك من يغادر لخلافات تنظيمية، وهو يحمل نفس الأفكار، وهناك من يغادر لأنه يريد إصلاح الجماعة، ولكنه لضيق أفق التنظيم لم يتمكن من ذلك، وهناك من يغادر لأن أفكاره أصبحت مختلفة.

- رغم الحالة التي تصاحب كل من يخرج من التنظيم، إلا أننا نفاجأ بأن أعدادهم أقل بكثير مما يصاحبهم من ضجيج، ما هو الحجم الحقيقي لهؤلاء الخارجين وتأثيرهم في تدشين مراجعات فكرية وفقهية قادرة على التغيير؟

لا يمكن إحصاء العدد كما قلت سابقا، لدينا في سجن الفيوم حاليًا تجربة جديدة تحدث لأول مرة في تاريخ جماعة الإخوان في مصر؛ مجموعة- أنا واحد منها- غادرت الجماعة وتدشن لمشروع فكري تجديدي بعد مراجعة استمرت عامين للمنطلقات الفكرية التأسيسية للجماعة، وأتوقع أن يكون لها دور مستقبلي في صياغة مشروع فكري متكامل وتكوين تيار فكري جماهيري يؤمن بهذا المشروع الفكري الجديد.

-ذكرتم أنكم في إطار مشروع فكري تجديدي بعد مراجعة استمرت عامين للمنطلقات الفكرية التأسيسية للجماعة؟، ما هي ملامح هذا المشروع؟ وما مدى توقعكم لنجاحه؟

جاءت مراجعاتنا في محورين رئيسين: الأول مراجعة المواقف السياسية للجماعة منذ يناير 2011 وحتى الآن في ضوء القواعد العلمية للممارسة السياسية، وانتهينا فيها إلى أن الجماعة خالفت المنطق السياسي في معظم قراراتها وتوجهاتها فدخلت بنفسها وبالبلاد في صدام لم تحسن حساب تبعاته، ومن ثم يصبح العمل وفق قواعد السياسة باحتراف ضمن أهم ملامح المشروع الجديد.

والثاني مراجعة المنطلقات الفكرية التأسيسية والمقولات الفكرية الكبرى عند حسن البنا وغيره من منظري الجماعة، اكتشفنا وجود ثغرات في الفكرة الرئيسة؛ مثل اعتبار التراجع السياسي للأمة هو سر تأخرها، بينما الصحيح من وجهة نظرنا أن الأمة تراجعت حضاريا بشكل كامل ولم تتراجع سياسيا فحسب، وبالتالي فإن التغيير لا يتمركز حول إصلاح الحكم ووصول الجماعة إلى السلطة، وإنما التغيير يتطلب إصلاح جوانب عديدة يكون الحكم واحدا منها وليس مركزا لها، إذن يصبح الصراع المحتدم حول السلطة والوصول إليها ليس هو المرتكز الذي ينبغي أن نتمحور حوله.

ومثل اعتبار وجوب وجود دولة إسلامية عالمية ينضوي تحت لوائها كل مسلمي العالم واعتبار أنّ هذا هو هدف الأهداف التي تأسست الجماعة لأجل تحقيقها؛ بعد البحث وجدنا أن كثيرًا من مفكري الأمة يرون أنّ دولة الخلافة كانت تجربة تاريخية بنت عصرها وليست واجبًا شرعيًا يتحتم على المسلمين إعادته، على اعتبار أنّ السياسة من الأمور التي يبحث فيها المسلم عن المصلحة في ضوء مقاصد الشريعة، وليست من الأمور التي يجد فيها نصوصًا قاطعة تحدد تفصيلًا ماذا ينبغي أن يفعل، وبالتالي تصبح الدولة ونطاقها وطرق تشكيلها جهدًا بشريًا يلتمس فيه المسلم مقاصد الشرع، أيضا على اعتبار وجود فرق بين الأمة الدينية والأمة السياسية؛ فالمسلمون في أنحاء العالم أمة من حيث هم أتباع دين واحد عليهم واجبات جماعية من هذه الزاوية وعليهم أن يبحثوا عن الطرق الملائمة في كل عصر لأداء هذه الواجبات، ليس شرطًا أن تكون هذه الطريقة هي تأسيس دولة عالمية؛ لأن وجود أمة سياسية يخضع لقواعد الاجتماع البشري الطبيعي دون تعسف، فيصبح المسلمون جزءا من أمم سياسية مختلفة بحسب قواعد الاجتماع البشري في كل عصر، من هذا المنطلق يصبح العمل داخل إطار الدولة الحديثة وقواعد تأسيس الأمم السياسية في العصر الحديث أحد أهم ملامح مشروعنا الجديد.

وتتوالى الملامح بعد ذلك مما يضيق المقام عن شرحه؛ مثل التخلي عن فكرة الخلط بين الدين والتنظيم واعتبار المجتمع هو المظلة الكبرى للعمل وليس التنظيم الضيق، والتخلي عن صيغة التنظيم الشمولي الذي

يعمل في كل المجالات واعتماد صيغة التنظيمات الفضفاضة التي تتعدد وتتنوع وتتخصص، وينفصل فيها الدعوي عن الحزبي..

أتوقع لهذا المشروع النجاح، خاصة بعد الإخفاقات المتتالية للإخوان ولهذا النوع من التنظيمات وبعد النجاح النسبي الذي حققته المشروعات التجديدية في تونس والمغرب وتركيا على سبيل المثال، الأمر الذي لفت نظر كثيرين في مصر إلى ضرورة تجاوز تلك الأفكار القديمة والأنماط التقليدية.

ـ ما هو الجديد في مشروعكم الفكري عن الإخوان، وهل يمكن أن نقول إنكم في إطار تأسيس جديد للإخوان، ولكن بغير القيادات الحالية للجماعة؟

لسنا بصدد العمل من داخل الجماعة؛ فالجماعة عصية على التجديد والتطوير وأفكارها التي تتشبث بها جزء من المشكلة وليست جزءا من الحل، هدفنا تكوين تيار فكري جماهيري في الفضاء الرحب بعيدًا عن تنظيم الإخوان الذي أصبحنا على قناعة بأن الزمان يتأهب لتجاوزه.

ـ خرجت مجموعات إصلاحية كثيرة من الإخوان على مدى فترات زمنية مختلفة، ولكنها ماتت مع الوقت واندثرت مع أوراق التاريخ، إلى أي مدى تراهن على بقاء المشروع الجديد؟ وهل تضمن عدم محاربة التنظيم عبر أذرعه المختلفة حتى تصبح مؤثرًا داخل الجماعة؟

كما قلت سابقا؛ نحن خرجنا من الجماعة إلى الفضاء الرحب، ودعونا وما زلنا ندعو كل إخواني يفكر في التجديد إلى الانضمام إلينا، والأمر لا يقتصر على الإخوان؛ معنا كثيرون اقتنعوا بأفكارنا لم يكونوا ينتمون تنظيميًا للإخوان، الجماعة كما أسلفت بينها وبين التجديد خصام، وعلى من يرغب في التجديد أن يخرج من ضيقها إلى سعة المجتمع والوطن والأمة، إنني أراهن على صياغة مشروع فكري متماسك وعلى تكوين تيار جماهيري يفهم تلك الأفكار ويؤمن بها، وسوف تنبثق منه تلقائيا مؤسسات متخصصة تعمل لخدمة مجتمعاتها وأوطانها وأمتها، بعيدا عن تلك الأنماط التقليدية.

الخاتمة والخلاصة:

احتارت الجماعة في طريقة التعاطي مع المنشقين عنها، واختلفت هذه الطريقة، بل يمكن أن نفهم أنها كانت تتعامل مع كل حالة بطريقة مختلفة، ولكن ما يجمع بين كل هذه الحالات هو شكلٌ واحد يحكمه التجاهل أحيانًا وتعمد التشويه أحيانًا أخرى، مستخدمة في ذلك أسلحة السمع والطاعة والثقة لقتل أية أفكار من شأنها زعزعة استقرار التنظيم، حتى بدا التنظيم رغم تضخمه وعمره الطويل منذ نهاية العشرينيات من القرن الماضي وامتداداته في أقطار وعواصم عربية وأوروبية أكثر استقرارًا. وهذا بخلاف الحقيقة التي رصدت

كمًا هائلًا من الانشقاقات على مستويات مختلفة. ولكنّ التنظيم نجح في إجهاضها من خلال تشويه أصحابها واغتيالهم معنويًا وتشويه المحتوى الذي خرج عن هؤلاء المنشقين، فبات مشروعهم الفكري بلا قيمة وبات أعداؤه أكثر مما يتصوره عقل، حتى أننا لمحنا أن المئات أثاروا الخروج من الجماعة دون ضجيج مصاحب لذلك خشية تعرضهم للاغتيال المعنوي، وفي محاولة منهم للابتعاد عن الضغوطات النفسية التي يتعرضون لها فور إعلان ذلك أو الحديث في تجربتهم الذاتية.

تخسر الجماعة المئات من قياداتها في فترات متقاربة، ولكنها تضمن عدم حديث هذه القيادات بسبب سيف التنظيم المسلط على رقابهم وطريقة التربية التي نجحت الجماعة من خلالها في زرع فكرة حرمة الحديث في شأن التنظيم الخاص وتسمية ذلك خيانة، فيؤثر الآلاف ممن خرجوا السلامة محافظين على هذه القيم التي تعلموها بغض النظر عن صحتها، ولكنهم تشربوها، وهذه الصفة تمتاز بها جماعة الإخوان وكل التنظيمات سواء الدينية أو غيرها، وهذا من إبداع مؤسسها الأول حسن البنا، الذي وضع حلولًا لمشكلة الخروج من الجماعة قبل أن يتعرض التنظيم للانشقاقات التي نراها بهذا الحجم.

الانشقاق ظاهرة ليست جديدة ولا مختلفة، فقد ظهرت منذ بدايات الدعوة الأولى للإخوان، ولكنها بدت مختلفة في العقود الأخيرة عندما سيطر على التنظيم حراسه وصقوره الذين اصطدموا بقطاعات واسعة من الشباب أرادت أن تكون مؤثرة داخل التنظيم، فضلًا عن بعض الرؤى الإصلاحية التي قتلت في مهدها بدعوى الحفاظ على استقرار التنظيم وأمنه.

الانشقاق لم يكن ضمن مستوياته شيوخ التنظيم فحسب، وإنما حدث انشقاق على مستوى الشباب وقواعد الجماعة الذين يشكلون الكتلة الصماء الأكبر ونواته، ولم يكن الانشقاق أيضا من نصيب القيادات والشباب فقط، وإنما شمل القيادات الوسطية في جميع اللجان التي تشكل الأفكار وتمثل محور التربية وتعني بالعمل السياسي وغيرها، كما أن الانشقاق لم يقتصر على الرجال فقط، وإنما فوجئنا بأخوات يعللن انشقاقهن عن التنظيم ولكن يتعرضن للتنكيل ربما بصورة أكبر من الرجل، حيث ينال ذلك من أعراضهن ويشّوههن، وبالتالي نادرًا ما نجد من تخرج لتعلن ذلك متحملة العبء النفسي للمواجهة، كما أن الانشقاق يأتي بصورة جماعية، وربما ظهر ذلك بعد ظهور حركات سياسية أطاحت بنظاميين سياسيين في 2011 و2013، وكان المبرر في النموذج الأول أنه لم يعد مفيدًا الانضمام لتنظيم وصل للحرية وقد يصل لسدة الحكم، بينما في الصورة الثانية خرجت مجموعات بسبب الأداء السياسي للجماعة حتى أن منهم من ناصب التنظيم العداء وسط ميادين الثورة التي انتزعت مقاعد السلطة فعادوا إلى ما كانوا عليه.

قد تكون هذه الدراسة نجحت في تفسير الظاهرة وإظهار صورتها الحقيقية، وألمحت إلى الفوارق التي يتعامل بها التنظيم على من يخرجون عليه منذ بداية تدشين الجماعة على يد مؤسسها الأول حسن البنا وانتهاء

بالوقت الحالي، واقتربت من فكرة تأثير هذا الانشقاق على الكيان التنظيميّ في عقوده المقبلة، ولكن مازال الباب مفتوحًا أمام الباحثين لمواصلة الكتابة في ذات الموضوع حتى يتبينوا لنا أوجه أخرى يمكن أن تفيد في قراءة الجماعة الأهم والأبرز بين حركات الإسلام السياسي خاصة مع تنامي الظاهرة وتحوّرها وتشديد الخناق على هؤلاء المنشقين في محاولة للتقليل من الظاهرة ولإنهاء أي حركة تمرد قد تطل برأسها.

سوف تظلّ جماعة الإخوان في مواجهة مع المنشقين، مواجهة خاسرة مع بعضهم وناجحة مع البعض الآخر؛ لا تلقي الجماعة بالًا بالنسبة إلى المنشقين الذين يسبونها في الإعلام، وإنما تحصد من وراء ذلك دعاية قد يكون نتاجها انضمام عناصر جدد، خاصة وأنها تروج بين أعضائها أنها تتعرض لحملة تشويه تدفع البعض للتعاطف معها والانضمام إليها، أما بخلاف ذلك فالجماعة تخسر كثيرًا إذا كان المنشق صاحب مشروع فكري يسعى لتطبيقه، فإشكالية الجماعة في منتقديها الذين يتناولون التنظيم بالتشريح فيظهرون شكله الحقيقي بعيوبه كما هي دون تصنع أو تكلف يؤخذ عليها، وما يزيد من التعاطف معهم طريقة تعاطي الجماعة، والتي تمتاز بالسطوة والتشهير.

المراجع:

1. القرآن الكريم

2. السيد يوسف، الإخوان المسلمون وجذور التطرف الديني والإرهاب في مصر، الهيئة العامة للكتاب، ط1، 1999

3. انتصار عبدالمنعم، مذكرات أخت سابقة.. حكايتي مع الإخوان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2011

4. رجب البنا، الإخوان: جماعة السمع والطاعة، يمكن مراجعته بجريدة الأهرام بتاريخ 2010/4/11 وعبر موقعها على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت من خلال الرابط، www.ahram.org.eg/archive/Issues-Views/News/48432.aspx

5. أبرز الانشقاقات في تاريخ جماعة الإخوان المسلمين، موقع إضاءات، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدولية عبر الرابط، goo.gl/d4RQJV.

6. يمكن مراجعة استقالة د. كمال الهلباوي ضمن برنامج العاشرة مساء الذي كان يقدّم على فضائية دريم وعلى شبكة المعلومات الدولية الإنترنت على الرابط، www.youtube.com/watch?v=VLABX05g0x4.

7. موقع العربية نت، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» عبر الرابط، www.alarabiya.net/htm.94858/21/12/articles/2009

8. المنشقون عن «طاعة الإخوان» من عصر «البنا» إلى حكم «بديع» (ملفّ خاصّ)، جريدة المصري اليوم، يمكن مراجعته على الموقع الإلكتروني على شبكة المعلومات الدولية عبر الإنترنت على الرابط، www.almasryalyoum.com/news/details/170571.

9. كمال الهلباوى: تركت «الإخوان» يوم ترشيح «الشاطر» (حوار)، حوار أجرته جريدة المصري اليوم مع القيادي الإخواني المنشق د. كمال الهلباوي، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت على الرابط، www.almasryalyoum.com/news/details/169612.

10. «المنشقون الجدد» عن «الإخوان» يبحثون عن «شهادات ميلاد»، جريدة الشروق، يمكن مراجعة الموضوع على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» على موقعها عبر الرابط، www.shorouknews.com/news/view.7c3c-4e44-ba7a-c1023e40bb34-aspx?cdate=01102013&id=7245f254

11. صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، المكتبة الإسلامية، يمكن مراجعته عبر شبكة المعلومات الدولية الإنترنت على الرابط، library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=13068&idto=13075&bk_no=52&ID=3932

12. كيف تتعامل «الجماعة» مع الخارجين عليها؟، موقع البوابة نيوز، يمكن مراجعته على شبكة المعلومات الدولية عبر الإنترنت على الرابط، www.albawabhnews.com/52799.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : +212 537 77 99 54

الفاكس : +212 537 77 88 27

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2018

All rights reserved © 2018